

من أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح

# الزيارة الجامعة الكبيرة

عبد الحليم الغزي

منشورات موقع زهرايئون

# شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضه قناة المودة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءً من تاريخ: 2010 / 06 / 10

يازفراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ أَلِ اللَّهِ

وَاللَّعْنُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَاءِ شِيَعَتِهِمْ أَعْدَاءِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ لِقَاءِ اللَّهِ

## الحلقة السابعة

### معنى ومَهْبِطُ الْوَحْيِ

حلقةٌ جديدةٌ من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أوقاتكم وتَقَبَّلْ صالح أعمالكم واستجاب صادق دعواتكم في مثل هذه الأيام الشريفة من شهر شعبان المُعَظَّم. كلامنا متواصلٌ في بيان مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، وأنا أقرأها من مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدَّث القمي رضوان الله تعالى عليه، حيثُ مرَّ علينا في الحلقات السالفة قول الإمام عليه السلام - **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ** - العنوان الجديد الذي نتناوله في هذه الحلقة: **وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ**.

**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ** - المَهْبِطُ هو مَفْعِلٌ أسْمٌ مكان في لغة العرب وهو مكان الهبوط، المكان الذي يُهبط فيه أو يُهبط إليه يقال له مهبط، الوحي في لغة العرب تأتي على معانٍ كثيرة، الوحي في لغة العرب تعني الإشارة، حينما استعمل الإشارة بيدي أو بعيني أو بأي عضوٍ من أعضاء البدن أشير بها كي أفهم شخصاً ما شيئاً ما معنى ما، فذلك وحيٌّ من الوحي، ولذلك يقول الشاعر:

فأوحت إلينا والأنامل رسلها

فأوحت إلينا يعني أشارت إلينا، والأنامل رسلها الأنامل الأصابع أو هي أطراف الأصابع، كأنها أشارت إلينا بأطراف أصابعها تريد أن تُفهمنا شيئاً، وأوحت إلينا والأنامل رسلها، وحتى ما قاله الشاعر في لغة العيون فإنها معنى من معاني الوحي:

وتعطلت لغة الكلام فخاطبت عينا في لغة الهوى عينك

الخطاب هنا خطاب الوحي، الوحي يكون بمعنى الإشارة، والوحي أيضاً الكتابة، والوحي الكلام باللسان، والوحي إرسال الرسول، والوحي، والوحي، والمعاني كثيرةٌ في لغة العرب للوحي، الشيء الذي نخلص إليه ولا أريد التطويل كثيراً في البحث اللغوي، الشيء الذي نخلص إليه أن الوحي إنما هو عنوان لكل ما يكون في طريق التواصل وفي طريق التلقي، التواصل بين طرفين، طرف يكون هو الذي يصدر منه ما يصدر، وطرف

آخر يتلقى ذلك الذي يصل إليه أو يوصل إليه، الوحي عنوانٌ عام في لغة العرب لكل المصاديق لكل الأساليب لكل الحالات التي يكون فيها إيصال معنى من المعاني، إيصال حقيقة من الحقائق، قد تكون بالإشارة، قد تكون بالكتابة، وقد تكون باللغة، وباللغة الخفية بالهمس، وقد تكون باللغة العلنية، وقد تكون وقد تكون، فكل أسلوب وكل طريقة وكل نحو من أنحاء التعبير يمكننا أن نوصل به المراد فذلك هو معنى من معاني الوحي ودرجة من درجات الوحي، هذا المعنى اللغوي.

الزيارة نخطب فيها الأئمة صلوات الله عليهم، علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً أقوله إذا زرت واحداً منكم، فهذا هو القول البليغ الذي نخطب به الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهم مهبط الوحي أي أنهم المكان، وهنا التعبير باسم المكان إنما هو تعبير على نحو التجوز، هم الجهة وهم المكان وهم المرتبة الوجودية التي تكون مهبطاً للوحي، الوحي يهبط في دارتهم، الوحي يهبط على حقائقهم، في حقائقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الزيارة مثل ما خاطبتهم بأنهم أهل بيت النبوة، أن الأئمة هم أهل بيت النبوة، وتحدثنا عن معنى النبوة، وهم تبعٌ لتلك الحقيقة النبوية الكاملة فهم موضع الرسالة، الرسالة أين تكون؟ في حقائقهم، وهم مختلف الملائكة والملائكة إنما يردون عليهم لأي شيء؟ إنما يردون عليهم إما برسوم العبودية والطاعة فما من مَلَكٍ يخطو قدماً عن قدم إلا بأمر الإمام المعصوم، وإما أن يكون بنحو العبادة والاستفادة والاستفاضة ومرر الكلام في الروايات التي تتحدث عن هذه المضامين في الحلقة الماضية، فكما أنهم مختلف الملائكة فهم مهبط الوحي، الوحي يهبط في حقائقهم وعلى حقائقهم.

قبل أن أدخل في التفاصيل هناك مشكلة أشرت إليها فيما مضى وهو أن المخالفين لأهل البيت يعتمدون اللغة والمعاني اللغوية مصدراً من مصادر العلم، وإن قد يرفضون هذا الكلام، لكننا في الواقع حينما ندقق فيما كتبوا وفيما اعتقدوا فإنهم يجعلون اللغة مصدراً من مصادر المعرفة وليس وسيلة، وهذا قد تأثر به جمع من علمائنا أيضاً، فجعلوا اللغة مصدراً من مصادر العلم والمعرفة هذه قضية، القضية الثانية مثلاً يُشاعُ فهمٌ للوحي ونظرة معينة للوحي وكأن هذه النظرة، تصبح هذه النظرة المُستندة إلى بعض من الأحاديث والآية أيضاً من جهة المخالفين من التأثر بفكر المخالفين فتصبح قانوناً ولا يمكن لأحدٍ أن يتجاوز على هذا القانون مع وجود العشرات بل المئات من الروايات والآيات التي تشير بشكلٍ واضح وبشكلٍ صريح إلى أن معاني الوحي وأن درجات الوحي وأن مراتب الوحي بخلاف الذي قد تعورف عليه، هذا المطلب مطلب واسع، أنا سأتناول الآيات، أتناول الروايات التي تتحدث عن هذا الموضوع، في البداية سأبدأ من الكتاب الكريم ثم أُعَرِّجُ على الكلمات المعصومية النورية.

لنقوم بجولة سريعة في آيات الكتاب الكريم نتفحص معنى الوحي ونبحث عن معنى الوحي، مثلاً في سورة فصلت، الآية الحادية بعد العاشرة والثانية بعد العاشرة:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ \* فقضاهنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴿ الحديث هنا عن خلقة السماوات ومن جملتها السماء الدنيا التي زينها البارئ سبحانه وتعالى بالكواكب والنجوم ﴿ فقضاهنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ فهذا وحيٌّ لِمَا يُقَالُ له وحيٌّ للجَمادات، لأنه من جملة السماوات السماء الدنيا ومن جملة شؤون السماء الدنيا هذه الكواكب والأجرام وهي أجمد الجمادات، فهذا الوحي لكل السماوات بما فيها السماء الدنيا، هذا وحيٌّ للجَماد ﴿ فقضاهنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ .

هناك مصداقٌ آخر من مصاديق الوحي للجَماد وهو ما جاء في سورة الزلزلة: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا ﴾ \* وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴾ \* يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿ بَانَ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿ هذا وحيٌّ أيضاً للأرض وهو كالوحي الذي تقدم ذكره في سورة فصلت، كما أوحى سبحانه وتعالى للسماوات بما فيها السماء الدنيا المزينة بالكواكب والنجوم ومن جملتها الأرض هناك وحيٌّ يكون للأرض متى؟ حينما تبدأ علائم يوم القيامة، متى تُزلزل الأرض؟ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ \* بَانَ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿ فهذه درجة ومرتبةٌ من مراتب الوحي التي تحدث عنها القرآن وهو وحي الجَمادات.

هناك وحيٌّ آخر والذي جاء ذكره في سورة النحل المباركة يحدثنا القرآن عن الوحي إلى الحيوانات، في الآية الثامنة والستين: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ \* فليقل ما يقل المفسرون بأن هذا الوحي هو أمرٌ غريزي، هو أمرٌ تكويني وكذلك الوحي للسماء وكذلك الوحي للأرض، الوحي للجَمادات، الوحي للحيوانات، للحشرات ومنها النحل ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ \* فليقل ما يريد المفسرون أن يقولوا بالنتيجة هو وحي ومرتبة من مراتب الوحي، فالوحي على مراتب والوحي على أنحاء، وحيٌّ للسماوات وهناك وحيٌّ للأرض وهناك وحيٌّ للحيوانات وهو صريحٌ ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ \* إلى هذه الحشرة.

هناك وحيٌّ قد يكون من البشر أنفسهم ولكن من الأنبياء كما في سورة مريم في قصة زكريا عليه السلام:

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتَيْكَ مَا تُلْكُم النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ \* فخرج على قومه من الحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًا ﴿ حتى لو قلنا بأن هذا الوحي هو الإشارة كما يبدو من ظاهر الآيات باعتبار أنه أمر بأن لا يكلم الناس ثلاث ليالٍ سويًا ﴾ \* فخرج على قومه من الحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًا ﴿ هذه أيضاً مرتبة من مراتب الوحي وهي مرتبة الوحي البشري ولكن من الأنبياء.

هناك عندنا في سورة الأنعام في الآية الثانية بعد العاشرة بعد المئة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ هناك وحي بين شياطين الجن والإنس، فقد يوحى شياطين الإنس إلى الجن، وقد يوحى شياطين الجن إلى الإنس الآية واضحة، الآية تشير إلى أن الوحي يكون من الطرفين يمكن لشياطين الإنس أن يوحوا لشياطين الجن وكذلك يمكن لشياطين الجن أن يوحوا لشياطين الإنس ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ هذه أيضاً مرتبة من مراتب الوحي لكنها من مراتب الوحي الباطلة، ماذا نستفيد من هذا؟ نستفيد أن الوحي مراتبه كثيرة ولسعة مراتب الوحي كان هناك من الوحي ما هو الباطل كما في هذه الآية الصريحة، وكذلك في الآية الحادية والعشرين من سورة الأنعام أيضاً ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ الشياطين هنا بحسب ما يبدو من الآية شياطين الجن وإن كنا يمكن أن نجتمع بين هذه الآية والتي قبلها فيكون الكلام عن شياطين الجن والإنس، فشياطين الإنس يوحون لشياطين الجن وشياطين الجن يوحون لشياطين الإنس وهكذا، ولكن الآيتان الآية الثانية بعد العاشرة بعد المئة والآية الحادية والعشرون بعد المئة من سورة الأنعام تتحدثان عن مرتبة وعن مراتب من مراتب الوحي ولكن من الوحي الباطل من الوحي الشيطاني، فمراتب الوحي كثيرة، ومراتب الوحي عديدة، والوحي فيه جانبان: جانب الخير وجانب الشر.

ويستمر القرآن الكريم في الحديث عن الوحي، إذا نذهب إلى سورة الشورى المباركة الآية الحادية والخمسون ﴿ وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا ﴾ يعني هناك وحي من الله يكون للبشر ﴿ وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ ﴾ الآية ما قالت وما كان لنبي، الحديث عن البشر بشكل عام، فتشمل الأنبياء وغير الأنبياء، وإن فسرها المفسرون بالأنبياء لكن الآية واضحة وصريحة تتحدث عن البشر بنحو عام ﴿ وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا ﴾

يعني ما هو أسلوب التواصل بين الله وبين البشر؟ ﴿ وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ من وراء حجاب المراد كما أن الله سبحانه وتعالى خلق الكلام في الشجرة وفي الهواء وفي النار حين كلم موسى، لأن الله لا يملك جارحةً ليست عنده جارحة للكلام، حينما يريد أن يتكلم فإنما يخلق الكلام في أي شيء من مخلوقاته ﴿ وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا ﴾ هذا نحو من أنحاء الكلام الإلهي من طريق الوحي ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ - يعني ملكاً من الملائكة - أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ إما أن يكون هذا الرسول من الملائكة كالملائكة الذين يُرسلون إلى الأنبياء وإلى الأوصياء، أو قد المراد من الرسول هنا هو الرسول البشري، البشر الذي يعثه الله نبياً، يعثه رسولاً، وبالنتيجة أنا هنا لستُ بصددٍ تفسير الآية، الآية فيها كلام طويل وعريض، لكن الآية بالجملة تتحدث عن الوحي بين الله وبين البشر.

نحن تحدثنا عن الوحي الإلهي للجمادات كالوحي للسموات، الوحي للأرض، الوحي للحيوانات كالوحي للنحل، وتحدثنا كذلك عن الوحي البشري وهو وحي زكريا لقومه، والوحي الشيطاني فيما بين شياطين الجن والإنس، الآية هنا تتحدث عن الوحي للبشر عموماً، ما هو قانون الوحي للبشر؟ سواء كانوا أنبياء أو غير أنبياء، ما هو هذا القانون؟ حتى لو كانت الآية مختصة بالأنبياء فقط الحديث هنا عن القانون العام للوحي للتواصل بين الله وبين البشر ﴿ وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ ﴾ لبشرٍ هنا نكرة منونة بشكل عام ﴿ وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

هناك الوحي الذي أشارت إليه سورة طه وهو مصداق من الوحي إلى البشر، في الآية السابعة والثلاثين وما بعدها ﴿ وَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ الخطاب لموسى عليه السلام، الله يخاطبه ﴿ وَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ \* إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى \* أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ إلى آخر الآيات الشريفة ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴾ هذه الآية الثامنة والثلاثون من سورة طه تتحدث عن الوحي البشري مرَّ علينا قبل قليل في الآية الحادية والخمسين ﴿ وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا ﴾ هذا الحديث هنا عن عموم البشر، من مصداق الوحي لعموم البشر الآية الثامنة والثلاثون ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ

مَا يُوحَى ﴿ نفس المعنى يتكرر في سورة القصص في الآية السابعة في سورة القصص ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنِ ارْضِعِيهِ ﴾ يعني هناك وحي متكرر، الوحي الأول ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ \* أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴾ هذا القذف في التابوت في بداية القصة وقذفته وأخذه اليم إلى قصر فرعون وبعد ذلك جاءت قضية الإرضاع، جاء وحي آخر إلى أم موسى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنِ ارْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ الحديث هنا أيضاً في الآية عن إرضاع أم موسى ولكن قبل أن تلقية في اليم ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ \* أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ وهنا الحديث ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنِ ارْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ الحديث هنا عن الوحي البشري، عن الوحي الإلهي لأم موسى، طبعاً في الروايات الشريفة أن معنى الوحي تكرر لأم موسى ولغير أم موسى من الأولياء من عامة البشر فما كانت أم موسى نبيه.

نفس الكلام نجدّه يتكرر في سورة آل عمران في قصة مريم عليها السلام، في الآية الثانية والأربعين وفي الآية الثالثة والأربعين ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ الحديث هنا عن وحي الملائكة، عن الوحي الإلهي من طريق الملائكة إلى مريم ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ \* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ هذا أيضاً وحي من الله سبحانه وتعالى لبشرٍ ممن خلق، مرت علينا الآية الحادية والخمسون في سورة الشورى تتحدث عن الوحي لعامة البشر من هذه المصاديق ما مرَّ علينا في سورة طه وفي سورة القصص إذ أوحى الله إلى أم موسى ما أوحى، وهنا في سورة آل عمران في الآية الثانية والأربعين وفي الآية الثالثة والأربعين الحديث عن الوحي إلى مريم، الملائكة تخاطبها وتوحي إليها.

في سورة المائدة، في الآية الحادية بعد العاشرة بعد المئة ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ هذا وحي آخر للبشر من غير الأنبياء ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

هناك وحي آخر في سورة الأنفال في الآية الثانية بعد العاشرة في قصة واقعة بدر ونزول الملائكة ﴿ إِذْ يُوحَىٰ

رَبِّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿﴾ هذه رتبة أخرى من مراتب الوحي وهو الوحي الإلهي إلى الملائكة.

هذه مصاديق وعناوين كثيرة، في سورة النساء، الآية الثالثة والستون بعد المئة وما بعدها، الحديث عن الوحي للأنبياء: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ النبي صلى الله عليه وآله بالنسبة له هو النبي الجامع وكتابه هو الكتاب الجامع ورسالته الرسالة الجامعة، جميع مراتب الوحي التي كانت للأنبياء أيضاً كانت لنبينا صلى الله عليه وآله ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ نوح والنبون من بعده يختلفون في مراتب الوحي، جميع هذه المراتب أوحى بها إلى النبي لماذا؟ لأنه الحقيقة الجامعة وإلا الوحي المُحَمَّدِي يختلف عن الوحي الذي كان للأنبياء، لأن الوحي يتناسب بحسب روحانية النبي ونورانيته، كل نبي له مرتبة من الروحانية والنورانية، الوحي النازل إليه يتناسب مع نورانيته وروحانيته، لكن النبي صلى الله عليه وآله هو صاحب النبوة المهيمنة، صاحب الحقيقة المهيمنة.

نحن حينما نقرأ مثلاً في سورة المائدة، في الآية الثامنة والأربعين ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ الكتاب هو شأن من شؤونات نبوة نبينا، نبوة نبينا واسعة ومر الحديث عنها، وشؤوناتها لا تنتهي، لا تُعَدُّ ولا تحصى، من جملة شؤونات نبوة نبينا هو الكتاب الذي أنزل عليه، هذا الكتاب هكذا يصفه الله ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ مهيمناً على كل الكتب، والهيمنة ماذا تعني؟ الهيمنة تعني الإحاطة وتعني الولاية أيضاً، تعني الإحاطة وتعني الولاية، المهيمن هو المحيط والمحيط يكون هو العالم بالشيء والذي له القدرة على التصرف فيه، ومن مصاديق هيمنة الكتاب أن هذا الكتاب ينسخ الكتب السابقة، هذا في الأفق التدويني، وإلا نبوة النبي أيضاً في الأفق الأرضي تنسخ النبوات كلها، والحديث فيه تفصيل أنا لا أريد أن أدخل فيه، ربما لو تطرقنا لتفسير هذه الآية معنى ومهيمناً عليه نتحدث في هذا الموضوع بشيء من الإسهاب، لكن ونحن في هذه الجولة السريعة في آيات الكتاب الكريم نتحدث عن معنى الوحي وعن مراتب الوحي.

الآية هنا في سورة النساء الثالثة والستون بعد المئة ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ونوح والنبون من بعده كل واحد له مرتبة من مراتب الوحي ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَأَسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ هؤلاء يختلفون في مراتبهم، يختلفون في

علمهم، يختلفون في نورانيتهم، فالوحي يختلف بحسب اختلاف مراتبهم ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا \* وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ﴾ هؤلاء أيضاً ما نزل عليهم من الوحي ومن مراتب الوحي أيضاً داخلٌ في مراتب الوحي المُحمّدية ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا \* رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ فكل مراتب الوحي هذه التي ذكرها القرآن والتي لم يذكرها، كل مراتب وحي الأنبياء هي داخلة في مراتب الوحي النبوي بجهة من الجهات، وإلا الوحي المُحمّدي يختلف عن كل هذه المراتب، الآية بجملتها تتحدث عن الوحي النبوي، عن وحي الله للأنبياء، ووحى الله للأنبياء مراتبه كثيرة جداً، ربما سنشير إلى بعض من هذه المراتب في طوايا ذكري للروايات والأحاديث الشريفة التي سأتلوها على مسامعكم.

حينما نقراً مثلاً في سورة الشورى، الآية السابعة ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ هذه مرتبة من مراتب الوحي النبوي وهي وحي القرآن، الوحي لم يكن مقتصرًا على القرآن فقط، هذه مرتبة من مراتب الوحي ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ هذه مرتبة الوحي القرآني المهيم على كل الكتب، هذه مرحلة الوحي المهيم، هناك مرتبة أخرى نجد هذه المرتبة في سورة الإسراء المباركة في الآية التاسعة والثلاثين ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ - إلى آخر الآية - هذه مرتبة من مراتب الوحي، الآية التي مرت علينا كانت تتحدث في سورة الشورى، تتحدث عن الوحي القرآني، هذا وحي الحكمة، وإن فسّر المفسرون الحكمة هنا أيضاً بالقرآن، لكننا إذا دققنا النظر في هذا العنوان عنوان الحكمة على طول الكتاب الكريم الحكمة شيء آخر ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ هذه مرتبة أخرى من مراتب الوحي النبوي، أوحى الله إليه كما أوحى إلى الأنبياء كما مر علينا في الآية الثالثة والستين من سورة النساء، مرّ علينا قبل قليل، في الآية الثالثة والستين بعد المئة إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى كل الأنبياء، والوحي القرآني كما في سورة الشورى، وفي سورة الإسراء هو وحي الحكمة ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ في سورة الشورى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ في سورة الشورى أيضاً في آخر آية منها، في الآية الثانية والخمسين يعني قبل الآية الأخيرة، الآية الأخيرة هي الثالثة والخمسون، في الآية الثانية والخمسين ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ هذه مرتبة أخرى من مراتب

الوحي ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ هذه غير المرتبة القرآنية وغير مرتبة الحكمة ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هذه حيثية أخرى، لأننا إذا أردنا أن نتبع في الكتاب الكريم الروح والروح من أمرنا من أمر ربي تتجلى معانٍ أخرى، هذه مرتبة أخرى.

وهناك مرتبة من مراتب الوحي المُحَمَّدِي ما جاء مذكوراً في سورة النجم، وتحدثنا عن جانب من معاني هذه الآيات حين كان الكلام عن معنى النبوة ﴿ وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ \* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ \* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ \* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ \* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ \* فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ هذا وحي بمرتبة أخرى ﴿ وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ \* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ هذا الوحي في العالم الدنيوي في العالم الأرضي وتحدثنا عن النبوة في العالم الأرضي، هذا الوحي الأرضي ﴿ وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ خطاب مع الذي كانوا على الأرض ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ يعني يا أيها الأرضيون أنتم تسمعون كلاماً ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ \* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴾ انتقلنا إلى الأفق الأعلى ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ \* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ هذا وحي في الأفق الأعلى ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ \* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ \* فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ هذا وحي آخر هذا هو الوحي المُحَمَّدِي ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ \* مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ \* أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ \* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ السدرة المكان الذي يكون فيه التحير والحيرة، ولكن كما قالت الروايات ولكن مُحَمَّدًا لم يتحير هناك وما تحير بصره ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْمُورَىٰ ﴾ إِذِ يُغْشَى السِّدْرَةَ مَا يُغْشَى \* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى \* لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ هذا هو الوحي المُحَمَّدِي والذي لا نملك تفسيراً له، السورة هنا سورة النجم تتحدث عن مرتبتين من مراتب الوحي، وتحدثت عن مراتب أخرى آيات القرآن، تحدثت أن جميع مراتب وحي الأنبياء كانت موجودة في دائرة

الوحي النبوي لأن الأنبياء تختلف مراتبهم.

على سبيل المثال لنقرأ بعضاً من الروايات أو بعضاً من الأحاديث هذا هو كتاب الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول، على سبيل المثال: الرواية عن زرارة قال: سألتُ أبا جعفرٍ عليه السلام عن قول الله عزَّ وجل: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يُعَين المَلَك - هذه درجة ليس كل الأنبياء هكذا، هذه درجة من درجات الأنبياء - قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يُعَين المَلَك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويُعَين المَلَك - وهذه أيضاً مرتبة من مراتب الرسل - قلتُ: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يُعَين المَلَك - هذه أيضاً مرتبة من المراتب، لا يعني أن مراتب أئمتنا هكذا، ستأتي الروايات تبين هذا الكلام.

لا أبتعد كثيراً فقط أشير إلى ما جاء في نهج البلاغة الشريف، هذه هي الخطبة القاصعة من أشهر خطب سيد الأوصياء، ماذا يقول سيد الأوصياء؟ وهو يتحدث عن رسول الله - ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري - كان يجاور في المكان المعروف بحراء، قد تسأل لماذا يذهب رسول الله إلى حراء؟! هذا المكان مكانٌ تعبَّد فيه الأنبياء من قبله، هذا المكان مكانٌ مُقدَّسٌ تعبَّد فيه الأنبياء السابقون والأوصياء السابقون ومن جاء ذكرهم في الروايات ممن تعبَّدوا في غار حراء عبد المطلب جد النبي وكذلك ممن تعبَّد فيه أبو طالب، والروايات تقول بأن عبد المطلب وبأن أبا طالب من أوصياء إبراهيم وأوصياء إبراهيم كلهم أنبياء كما قالت الروايات في ذلك، فهذا المكان له قدسية خاصة، على أي حال - ولقد كان يُجاور في كل سنة بحراء فأراه - الأمير يراه - ولا يراه غيري ولم يجمع بيتاً واحداً يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشمُّ ريح النبوة - أي أنه كان يرى ويشم - ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلتُ: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك يا علي - الكلام مع علي - إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي - فهذا عليُّ يسمع الوحي ويرى، يسمع ما يسمع صلى الله عليه وآله، ويرى ما يرى صلى الله عليه وآله، هذا كلامٌ عليُّ في الخطبة القاصعة واضحٌ صريحٌ جلي.

إذاً هذه الأحاديث التي يقف عندها الكثير من علمائنا ويجعلون أوصاف الأنبياء وأوصاف الرسل وأوصاف أئمتنا عند هذا الحد فذلك ظلم لمراتب أهل البيت، مراتب أهل البيت أعلى وأعظم وأكبر وسيأتي الكلام بعد ذلك - ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يُعَين المَلَك -

يعني أن الأنبياء منهم من لا يرى الملائكة - والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويُعاین المَلَك، قلتُ: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاین المَلَك - والروايات البقية على هذا النحو، مثلاً رواية أخرى - عن الأحول قال: سألتُ أبا جعفرٍ عن الرسول والنبي والمُحدِّث - المُحدِّث هو إما المراد الإمام المعصوم وإما الأولياء الذين بلغوا هذه الرتبة، وظاهراً المراد هنا هو الإمام المعصوم - قال الرسول: الذي يأتيه جبرئيلُ قُبلاً فيراه ويكلمه فهذا الرسول، وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حين أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة - إلى أن يقول - وأما المُحدِّث فهو الذي يُحدِّث فيسمع ولا يعاین ولا يرى في منامه - هذه مراتب موجودة لأنبياء الله ولأولياء الله ولأوصياء الرسل هذه المراتب، لكن هذه المراتب لا يعنی أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقفوا عند هذه المرتبة، وقفوا عند هذه المنزلة، مرَّ علينا قبل قليل كلام سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه في نهج البلاغة الشريف وهو يقول إن النبي هكذا قال له: - إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى - وهو قال - أرى نور الوحي والرسالة وأشم ریح النبوة - فهو يرى ويشم، الملائكة إذا نزلوا لهم عطرٌ خاص، الروايات تقول بأن رائحة الملائكة رائحة الورد، بأن رائحة الملائكة رائحة المسك، وتختلف عطورهم وروائحهم باختلاف مراتبهم، فهو يشم وللوحي رائحة غير رائحة الملائكة - أرى نور الوحي والرسالة وأشم ریح النبوة - إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي - أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانت لهم هذه المراتب، كانت لهم هذه الدرجات من درجات الوحي وإلا كيف نخاطبهم في الزيارة: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا مَهْبِطَ الْوَحْيِ.

الرواية في بصائر الدرجات أنقلها وموجودة في الكافي أيضاً، موجودة هذه الرواية في الجزء الأول من الكافي الشريف، لكنني أقرأها من بصائر الدرجات لأنني أريد أن أقرأ رواية ثانية من نفس الكتاب - الرواية عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن جبرئيل أتى رسول الله صلى الله عليه وآله برمانتين - وهذه رموز - فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله إحداهما وكسر الأخرى بنصفين فأكل نصفها وأطعم رسول الله صلى الله عليه وآله نصفها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أخي هل تدري ما هاتين الرمانتين؟ قال: لا، قال: أما الأولى التي أكلها لوحده فالنبوة ليس لك فيها شيء، وأما الأخرى فالعلم أنت شريك في فيه - فكل ما عند رسول الله هو عند عليّ - فقلت: أصلحك الله كيف يكون شريكه فيه؟! قال: لا يُعلم الله مُحمّداً علماً إلا وأمره أن يُعلم عليّاً - أنا مدينة العلم وعليّ بابها - إلى نفس هذا الكلام تشير هذه الرواية - أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها - الرواية الثانية التي أردت أن أتلوها

على مسامعكم - عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قوله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ فهو مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وهو العلم ﴿المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ فزعم أن الزجاج ما هي؟ الزجاج أمير المؤمنين وعلم نبي الله عنده - الرواية هكذا تبين المعنى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ هو مُحَمَّدٌ - هذا النور في مصباح، المصباح هو العلم، والمصباح في زجاج، الزجاج هي التي تحوي المصباح، الزجاج عليّ، وهذا وجه من وجوه الآية الشريفة. لذلك نحن لا نستغرب أبداً هذا هو الجزء الخامس والثلاثون من بحار الأنوار، والرواية فيه عن الحسن بن محبوب عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه وهو يتحدث عن ولادة جده سيد الأوصياء فماذا يقول؟ - أنفتح البيت من ظهره - الكعبة - أنفتح البيت من ظهره ودخلت فاطمة فيه - فاطمة بنت أسد - ثم عادت الفتحة وألتصقت وبقيت فيه ثلاثة أيام فأكلت من ثمار الجنة فلما خرجت قال عليّ عليه السلام - لَمَّا خَرَجْتَ بَعَلِيَّ هَكَذَا قَالَ، ماذا قال؟ مخاطباً أباه أبا طالب - السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ، ثم تنحج وقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - فقرأ الآيات من سورة المؤمنون هذا الكلام متى؟!

القصة في ميلاد سيد الأوصياء، هذا الحديث قبل البعثة بعشر سنوات، نحن لا نأبه بمن يريد أن يسخر من مثل هذا الكلام، هذا كلام أهل البيت والقضية ليس رواية واحدة أو روايتين أو ثلاثة، هذه بحار من الروايات، ونصوص قرآنية ونصوص حديثية يشد بعضها البعض، القضية ليست متوقفة عند رواية واحدة أو عند سطر واحد - ثم تنحج وقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - قرأ سورة المؤمنون - فقال رسول الله - رسول الله موجود، هذه قرأها في وجه رسول الله فماذا قال؟ - قد أفلحوا بك أنت والله أميرهم، تميرهم من علمك فيمتارون وأنت والله دليلهم وبك والله يهتدون، ووضع رسول الله صلى الله عليه وآله لسانه في فيه فانفجرت اثنتا عشرة عينا - هذه رموز، رسول الله يضع لسانه في فيه فانفجرت اثنتا عشرة عيناً، هذه العيون اثنا عشر هؤلاء هم الأئمة الاثنا عشر، عليّ ومن بعده، هذه رموز ولا أستطيع أن أقف عند كل كلمة أتناولها بالشرح بالتالي سيذهب الوقت ولم أكن قد أكملت حديثي ولو على نحو الإجمال، لأن هذه الروايات كل رواية بحاجة إلى شرح أو إلى بيان، ولذلك هذه الروايات الرواية التي مرت علينا قبل قليل رواية الرمانتين فقسم الرمان الثانية وهي رمان العلم بالشراكة فعليّ شريك رسول الله، العلم هو المصباح، النور رسول الله، المصباح هو العلم، وعليّ الزجاج المحيطة بذلك المصباح المحيطة

بذلك النور - يا علي - كما جاء في نهج البلاغة - إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى ولكنك لست بنبي - هو كان يقول أرى نور النبوة والرسالة، نور الوحي والرسالة، وأشم رائحة النبوة، وما كان لعلِّي كان لإمام زماننا، فما كان لأولهم كان لآخرهم، وما كان لآخرهم كان لأولهم، إذاً هذه الروايات الموجودة في الكافي أو في غير الكافي والتي دائماً تتحفظ كتب علم الكلام وكتب العقائد بأن الأنبياء والأئمة والرسول هذه مراتبهم لأجل إبعاد هذه المراتب عن أئمتنا، وإلا هذه كلمات أهل البيت، وهذه أحاديث أهل البيت، وهذا عليٌّ ينطق بالقرآن وهو في المهدي، وهذا ما هو بغريب لأن القرآن كان في قلب مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله منذ أن كان، وما كان في قلب مُحَمَّدٍ فهو في قلب عليٍّ.

نحن حين نأتي فنقرأ مثلاً في سورة طه في الآية الرابعة بعد العاشرة بعد المئة ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ ما المراد من هذا؟ وهذا الكلام نجدُه أيضاً في سورة القيامة الآية السادسة بعد العاشرة ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ \* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ما معنى هذه الآيات؟ أكما يقول المخالفون ومن تبعهم من علمائنا، على سبيل المثال شيء غريب أن يقول السيد الطباطبائي في الميزان مثل هذا الكلام، هذا هو الجزء العشرون من تفسير الميزان، حينما يتحدث في بيان معنى هذه الآية ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ يقول: - هذا الكلام يتضمن أدباً إلهياً - ما هو هذا الأدب؟ - أن الله كلف النبي أن يتأدب به حينما يتلقى ما يوحي إليه من القرآن الكريم - إلى أن يبين ما المراد من ذلك، يقول - فالكلام في هذه الآيات يجري مجرى قول المتكلم منا أثناء حديثه لمخاطبه إذا بادر إلى تميم بعض كلام المتكلم باللفظة واللفظتين قبل أن يلفظ بها المتكلم وذلك يُشغله عن التجرد للإنصات فيقطع المتكلم حديثه ويعترض ويقول لا تعجل بكلامي وأنصت لتفقه ما أقول ثم يمضي في حديثه - يعني السيد الطباطبائي يأتي بهذا المثال أن شخص يتكلم وشخص آخر يستمع إليه، هذا الشخص المستمع لا يترك المتكلم يتكلم وإنما يسبقه بسبقه بلفظة أو لفظتين، فالمتكلم يقول له أنصت يا هذا واستمع للكلام!!

هل كان رسول الله صلى الله عليه هكذا؟! أدبني ربي فأحسن تأديبي ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ما معنى هذه الآية؟ هذه الآية لا أحد يعرف معناها، ما المراد من الخلق العظيم؟ ما هو هذا الخلق الذي يقول عنه الله خُلُقٌ عَظِيمٌ؟! ما المراد؟ هل نقول بأنه كان جواداً كريماً كان حسن الأخلاق حلو المعشر، هذه المعاني يمكن أن يتحلى بها أي شخص من الأشخاص، لكن هذا الخلق العظيم لا نستطيع أن ندركه، مثل هذا الكلام هذا الكلام هو تأثر بكتب المخالفين قطعاً، وإلا نحن إذا أردنا أن نقف عند هذه الآية:

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ هذا يدل على أن القرآن موجودٌ في قلبه، القرآن مجموعٌ في قلبه، وإنما الآية هنا تريد أن تشير إلى أنه أيها الناس أعلموا أن مُحَمَّدَ القرآن في قلبه، ولذلك الآية تقول له ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ هذه العجلة ما المراد منها؟ عجلة النبي، هذه العجلة هي عجلة الشوق ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ هذه عجلة الشوق، والآية هنا لا تريد أن تنهى النبي عن شيء هو لم يكن سليماً أو صحيحاً، وإنما تريد أن تخاطبنا، فالقرآن نزل بإيائك أعني واسمعي يا جارة وهذه لها أكثر من مرتبة، في بعض الأحيان يكون الخطاب لشخص ونحن الذين تُراد بذلك، وفي بعض الأحيان يكون الخطاب لشخص ونحن نُنبئه وفقاً لذلك الخطاب بخصوص أحوال وشؤون ذلك الشخص ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ الآية تريد أن تُشعرنا بأن القرآن مجموعٌ في قلبه صلى الله عليه وآله، ونفس الشيء الموجود في سورة القيامة ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ولذلك نحن حينما نريد أن نقرأ ما جاء في تفسير علي بن إبراهيم ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ وتفسير علي بن إبراهيم بجملة هو منقول عن الأئمة، وبنحوٍ خاص عن إمامنا الصادق عليه السلام، ماذا يقول علي بن إبراهيم؟

كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءته قبل نزول تمام الآية والمعنى - يعني أن الآية والمعنى موجودٌ في قلبه، قبل نزول تمام الآية، الآية يعني اللفظ والمعنى يعني معنى الآية، الجانب المعنوي منها - كان رسول الله إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءته قبل نزول تمام الآية والمعنى فأنزل الله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ - أن يُفرغ من قراءته من قِبَل جبرئيل، أو إذا كان الوحي من الله سبحانه وتعالى، لأن الوحي الذي كان ينزل على النبي تارةً من طريق الملائكة وتارةً من طريق الله سبحانه وتعالى، وهذا المعنى واضحٌ في الروايات، لا كما يتصور البعض من المخالفين أن الله لم يُكلم النبي صلى الله عليه وآله وأن التكليم حالةٌ خاصة بموسى، هناك منهم من يقول هذا الكلام، مع أنهم حين يتحدثون عن عمر بن الخطاب ماذا يقولون عنه؟

هذا هو صحيح البخاري، بحسب الطبعة التي بين يدي وهي طبعة دار صادر بيروت، الحديث المرقم: 3469 - عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال - النبي يقول - إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون - يعني يحدثهم الله، تحدثهم الملائكة - وإنه إن كان في أمتي هذه منهم - إذا كان في هذه الأمة - فإنه عمر بن الخطاب - وحددت به - فإنه عُمر بن الخطاب - وفي باب مناقبه

وفضائله، الحديث: 3689 - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر - الرواية التي بعدها - عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالاً يَكَلِّمُونَ من غير أن يكونوا أنبياء فإن يك من أمتي منهم أحد فعمر - الأئمة لا، لا يصح أن يكلمون، عمر يمكن أن يكلم، يكلمه الله، تكلمه الملائكة - لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل - هذا صحيح البخاري ورواياته صحيحة بحسب القوم - لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل - هذا في باب فضائل أصحاب النبي، في كتاب فضائل أصحاب النبي وفي باب فضائل عمر، باب مناقب عمر بن الخطاب، من كتاب فضائل أصحاب النبي - لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالاً يَكَلِّمُونَ من غير أن يكونوا أنبياء فإن يك من أمتي منهم أحد فعمر - لكن حينما يكون الحديث عن عليٍّ وعن آل عليٍّ يكون الكلام حينئذٍ باطلاً وبدعاً، يعني إذا كان عمر بهذه المرتبة فلما لا يكون أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بهذه المرتبة؟! هل نال هذه المرتبة بفضل جدته باطحلي؟ وأولاد رسول الله لم ينالوا هذه المرتبة بفضل أمهم فاطمة صلوات الله عليها؟

باطحلي هذه جدة عمر بن الخطاب نأتي على ذكرها إن شاء الله في الوقت المناسب، باطحلي هذا هو الاسم الثاني لجدته صهاك، وصهاك معروفة يعني سمعتها سيئة، معروفة في التاريخ، فأقول أن عمر نال ذلك بفضل جدته باطحلي وأولاد مُحَمَّد لم ينالوا ذلك بفضل أمهم فاطمة؟! فعمر يُكَلِّمُ الله تكلمه الملائكة الرواية مطلقة، أما عليٌّ وآل عليٍّ والغريب أن هذا الكلام موجودٌ في كتبنا نحن أيضاً، دائماً نجد الغض وغض الطرف وغض النظر عن هذه المعاني العميقة في روايات أهل البيت في بيان منازل أهل البيت، ما معنى أن نخاطب الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: السلام عليكم يا مهبط الوحي. ما المراد أنهم مهبط الوحي؟ أليس هذه المعاني التي أشارت إليها بعض الروايات؟! ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ يعني أن مُحَمَّدَ كان القرآن بكامله عنده وهذا تصدقه هذه الرواية التي تلوتها على مسامعكم من الجزء الخامس والثلاثين من بحار الأنوار في ولادة سيد الأوصياء وهو يقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فقال له صلى الله عليه وآله: قد أفلح المؤمنون بك وبولايتك يا علي.

ولو أردت أن أبحث عن مثل هذه المصاديق في كتب الحديث وفي كتب الروايات المروية عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لاحتجنا إلى الكثير من الوقت، نحن في رواياتنا أئمتنا يشترطون في الفقهاء، الفقيه أئمتنا يشترطون فيه، هذا رجال الكشي والرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه

عليه، ثاني رواية في الكتاب، الرواية الأولى: أعرّفوا منازل الرجال منّا على قدر رواياتهم عنّا. الرواية الثانية: أعرّفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا فإنّا لا نعد الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدثاً، فليل له أو يكون المؤمن محدثاً؟ قال: يكون مفهماً والمفهم محدث - وهذي أيضاً درجة من درجات الوحي - قال: يكون مفهماً - يعني لا هو الذي يبحث عن الفهم، هناك فارق بين من يطلب الفهم ويبحث عن الفهم، وهناك فارق بين الذي يكون مفهماً - إنّنا لا نعد الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدثاً، أو يكون المؤمن محدثاً؟ قال: نعم، يكون مفهماً والمفهم محدث.

فهذه الآية الكريمة والآية التي في سورة القيامة ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ الآية التي مرت علينا ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ وهي الآية السادسة بعد العاشرة وهذه الآية الرابعة بعد العاشرة بعد المئة ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ وتقول الآية ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ تشير إلى هذه الحقيقة، إلى حقيقة أن القرآن بتمامه بألفاظه ومعانيه هو في قلب مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَوَحْيِ مُحَمَّدٍ نَحْنُ لَا نَحِيطُ بِهِ، وَقَدْ مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ، هُنَاكَ مَرَاتِبٌ مِنَ الْوَحْيِ فِي الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ، وَهُنَاكَ مَرَاتِبٌ فِي الْأَفْقِ الْأَعْلَى، مَا عِنْدَنَا مِنَ الْأَحَادِيثِ أَوْ مِنَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ مَرَاتِبٍ أَوْ عَنْ مَصَادِيقٍ مِنَ الْوَحْيِ، أَتَى بِنَمَازِجٍ مِنْهَا، مِثْلًا عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ:

ما قاله المخالفون: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ﴾ قال البيضاوي: أي بالقرآن قبل أن يتم وحيه ﴿لَتَعْجَلَ بِهِ﴾ لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك - القرآن ينفلت من مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، هَذَا مَا قَالَهُ الْبَيْضَاوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ مِثْلًا، وَأَيْضًا مِثْلًا فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ لِلطَّبْرَسِيِّ - قَالَ: لَا تَعْجَلْ بِتِلَاوَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَفْرَغَ جَبْرَائِيلُ مِنْ إِبْلَاغِهِ - وَذَكَرَ مَعَانِي أُخْرَى أَنَّهُ - لَا تَقْرَأُ بِهِ أَصْحَابُكَ وَلَا تُمَلِّهْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ مَعَانِيهِ - يَعْنِي وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى عِلْمٍ بِمَعَانِيهِ يَنْتَظِرُ حَتَّى تَتَبَيَّنَ لَهُ الْمَعَانِي، هَذَا كَلَامُ الطَّبْرَسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ مَفْسَرِينَا فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ، مَجْمَعِ الْبَيَانِ لَيْسَ سِرًّا أَنَّ الْأَزْهَرَ اعْتَمَدَهُ وَجَعَلَهُ مِنَ التَّفَاسِيرِ الْمَعْتَمَدَةِ فِي الْأَزْهَرِ، لَوْ كَانَ هَذَا التَّفْسِيرُ يَعْتَمِدُ عَلَى حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ بِشَكْلِ حَقِيقِيٍّ وَبِشَكْلِ وَاسِعٍ مَا اعْتَمَدَهُ الْأَزْهَرُ، لَكِنْ يَعْلَمُونَ فِي الْأَزْهَرِ أَنَّ هَذَا التَّفْسِيرَ مَشْحُونٌ بِآرَاءِ الْمُخَالِفِينَ، لَكِنَّ الْغَرِيبَ أَنَّ مَنَابِرَنَا وَأَنَّ خُطْبَاتِنَا لَا يَنْقَلُونَ إِلَّا عَنْ هَذَا التَّفْسِيرِ، مَعَ أَنَّ تَفَاسِيرَ أَهْلِ الْبَيْتِ مَوْجُودَةٌ وَرَوَايَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَوْجُودَةٌ، وَإِلَّا لَمَا اعْتَمَدَ الْأَزْهَرُ حَبًّا بِالشَّيْعَةِ أَوْ حَبًّا بِأَهْلِ الْبَيْتِ هَذَا الْكِتَابُ!!

أليس لأنه مشحون والكتاب ورائه قضية وتفصيل في هذا المطلب ربما أتناولها في وقتٍ آخر، أقرأ سطوراً مما قاله الشيخ الصدوق في كتابه العقائد المعروف بعقائد الشيخ الصدوق قال - الاعتقاد في نزول الوحي من

عند الله عز وجل بالأمر والنهي اعتقادنا في ذلك إن بين عيني إسرافيل لوحاً - طبعاً هذه المعاني يأخذها من الروايات - فإذا أراد الله عز وجل أن يتكلم بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل - ضرب اللوح يعني أشرق شَع فيه - فينظر فيه فيقرأ ما فيه - إسرافيل ينظر فيه - فيلقيه إلى ميكائيل - يعني القرآن يأتي من اللوح - إن بين عيني إسرافيل لوحاً فإذا أراد الله عز وجل أن يتكلم بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل - يعني جاء الكلام إلى اللوح وإسرافيل يقرأ في لوحه - فينظر فيه فيقرأ ما فيه فيلقيه إلى ميكائيل ويلقيه ميكائيل إلى جبرئيل ويلقيه جبرئيل إلى الأنبياء، وأما الغشية التي كانت تأخذ النبي حين يثقل ويعرق فإن ذلك كان يكون منه عند مخاطبة الله عز وجل إياه، فأما جبرئيل فإنه كان لا يدخل على النبي صلى الله عليه وآله حتى يستأذنه إكراماً له وكان يقعد بين يديه قعدة العبد - جبرئيل كان يأمر الأنبياء السابقين، أما حينما يأتي إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فهو يقعد بين يديه قعدة العبد، جبرئيل إنما سجد والملائكة كلهم سجدوا لآدم لأي شيء؟

لنورٍ من مُحَمَّدٍ شع في آدم، فكيف لا يقعد بين يدي مُحَمَّدٍ قعدة العبد صلى الله عليه وآله، أفيعقل أن يكون جبرئيل مُعَلِّماً للنبي صلى الله عليه وآله!! الرواية هنا عن عبيد بن زرارة عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك الغشية التي كانت تصيب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي؟ قال: فقال ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد - يعني لم يكن الرسول هو جبرئيل - ذاك إذا تجلى الله له قال: ثم قال: تلك النبوة يا زرارة وأقبل يتخشع - تلك النبوة هذه مرتبة النبوة، ليس النبوة في نزول جبرئيل، الإمام هنا يشير إلى هذه الحقيقة التي تحدثنا عنها سابقاً حين الحديث: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة. النبوة هي هذه وليس الحديث عن جبرئيل، النبوة حين يتجلى الله له - فقال ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلى الله له ثم قال: تلك النبوة يا زرارة وأقبل يتخشع - النبوة هي هذه ليس النبوة بنزول جبرئيل، هذا لعامة الأنبياء، لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله النبوة هي هذه والوحي هو هذا، الوحي الذي أشارت إليه آيات سورة النجم كما مر علينا قبل قليل.

هذه الرواية في تفسير علي بن إبراهيم - عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله في وصف إسرافيل هذا حاجب الرب - إسرافيل - وأقرب خلق الله منه واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء - الكلام الذي أشار إليه الشيخ الصدوق قبل قليل - فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي - والله سبحانه وتعالى لا يتكلم باللفظ كما يقول أمير المؤمنين فإنه يقول ولا يلفظ - فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه ثم ألقى إلينا - يعني إلى جبرئيل وإلى ملائكة الوحي ملائكة العلم النازل على الأنبياء - ثم ألقى إلينا نسعى به في السماوات

والأرض إنه لأدنى خلق الرحمن منه وبينه وبينه تسعون حجاً من نور يقطع دونها الأبصار ما يعد ولا يوصف واني لأقرب الخلق منه - في حال تلقي الوحي - وبينني وبينه مسيرة ألف عام، في قوله تعالى:

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ \* فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ - الرواية ينقلها علي بن إبراهيم - اللوح المحفوظ له طرفان

طرفاً على العرش وطرفاً على جبهة إسرافيل فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل فنظر في اللوح فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل عليه السلام - هذي نماذج من الروايات التي تحدثت عن الوحي وتحدثت عن ملائكة الوحي وبينت لنا صوراً في كيفية نزول الوحي على الأنبياء، وأنا قلت بأن كل مراتب الوحي التي كانت للأنبياء هي مجموعة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، لكن الوحي للمحمد ولكن الوحي النبوي الخاص بمحمد صلى الله عليه وآله يختلف اختلافاً كاملاً.

أعظم سورة في القرآن الكريم تحدثت عن حقيقة الوحي هي سورة التوحيد، سورة التوحيد تحدثت عن معنى الوحي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هذه السورة التي هي من مغالقات القرآن، هذه السورة التي لا تتمكن العقول من الإحاطة بمعرفتها، هذه السورة ربما يترأى لأي شخص ينظر إلى هذه السورة فيظن أنه يعرف معناها، هذه السورة عميقة الدلالة، عميقة المعنى، بعيدة الغور عن عقولنا، طريفة أذكرها لأجل إشارة فيها لا لأجل طرفتها، يقولون في أحد المدن العراقية كان هناك إمام مسجد في أحد المساجد يأتي يصلي الجماعة ويخرج من دون أن يحدث الناس بحديث، في يوم من الأيام المصلون في المسجد قالوا: شيخنا أنت تأتي تصلي وما تحدثنا، علمنا شيء، اليوم الجمعة حدثنا بشيء، قال: ما تريدون؟ قالوا: مثلاً سورة التوحيد نحن لا نعرف معناها، نقرأها في الصلاة دائماً ولا نعرف معناها، فسّر لنا معناها، صعد على المنبر والرجل قليل البضاعة، لو كان عنده شيء لتكلم، كما يقال لو كان لبان، فالرجل قليل البضاعة فصعد أضطر بسبب إلحاح المصلين، فبدأ يفسر سورة التوحيد قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هاي تعرفوها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قُلْ: قَوْل، هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ: هو الله أحد، الله واحد، اللَّهُ الصَّمَدُ الله الصمد، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ: مبيته، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ: ولم يكن له كفواً أحد.

فأنا أقول هو لا كما يقولون أنه فسر الماء بعد الجهد بالماء، هو أصلاً لم يفسر الماء بعد الجهد بالماء، هو هذه الحادثة ربما فيها شيء من الطرافة لكن هذي حقيقة، والرجل قليل البضاعة لكن حتى الذين يملكون البضاعة الوفيرة والكثيرة في علم اللغة في علم البلاغة في آراء المفسرين هذه السورة سورة مغلقة مستحكمة يصعب الولوج إليها، يصعب الدخول إليها، لذلك الرواية في الكافي الشريف في الجزء الأول - عن إمامنا زين العباد صلوات الله وسلامه عليه، يقول: عن عاصم بن حميد قال: قال: سئل علي بن الحسين

عليهما السلام عن التوحيد فقال: إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوامٌ متعمقون - في آخر الزمان - فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ - يعني الآيات الأولى من سورة الحديد - فمن رام وراء ذلك فقد هلك - الإشارة الدقيقة هنا - إن الله سبحانه وتعالى عليم أنه يكون في آخر الزمان أقوامٌ متعمقون فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ - أنزلت هذه السورة للمتعمقين في آخر الزمان كي تكون حجةً وبرهاناً ودليلاً على عظمة هذا القرآن وعلى عظمة هذا الوحي وعلى أسراره وألغازه التي لا يصل إليها إلا مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ.

أنا فقط أشير إلى إشارة إلى أن هذه السورة وبالذات في الآية الأولى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإشارة هنا إلى مرتبة الوحي المُحَمَّدِي الأعظم، المرتبة الأعظم، ومرتبة الوحي الأعظم هذه هي التي كانت قبل الخلق، كان الله ولم يكن معه شيء ثم تكلم بكلمة هذه الكلمة كانت نوراً وكانت روحاً ثم مزج بين النور والروح ومن ذلك النور اشتقت أنوار الموجودات، هذا الكلام قُل الخطاب لتلكم الحقيقة، وهذا الخطاب ليس خطاباً لفظياً كما مر علينا في قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ إنه يقول فلا يلفظ كما يقول سيد الأوصياء، ما هو بنداؤه مقروع ولا بصوتٍ مسموع، لا بنداؤه يقرع ولا بصوتٍ يسمع وإنما إذا أراد كان، هذه قُل وكُن بنفس المعنى بنفس المضمون، مر علينا فيما تقدم من الحلقات السابقة شيئاً من هذا المعنى.

هذي سطور من حديث طارق بن شهاب الذي يرويه عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وهذا هو الجزء الخامس والعشرون من بحار الأنوار، يقول سيد الأوصياء وهو يتحدث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، يتحدث عن الأئمة عن عليٍّ وولد عليٍّ: فهم سر الله المنخزون وأوليائه المقربون وأمره بين الكاف والنون لا بل هم الكاف والنون - هذا تجلي أول، وهذا تجلي ثاني، أمره بين الكاف والنون مرتبة من مراتب التجليات، لا بل هم الكاف والنون هذا تجلٍ آخر - إلى الله يدعون وعنه يقولون وبأمره يعملون علمُ الأنبياء في علمهم وسرُ الأوصياء في سرهم وعزُ الأولياء في عزهم كالقطرة في البحر والذرة في القفر والسموات والأرض عند الإمام كيده من راحته - السماوات والأرض وهذا هو حقيقة الوحي - والسموات والأرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها ويعلم برها من فاجرها ورطبها ويابسها لأن الله عليم نبيه علم ما كان وما يكون وورث ذلك السر المصون الأوصياء المنتجبون - يا عليّ إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى - وورث ذلك السر المصون الأوصياء المنتجبون ومن أنكرك ذلك فهو شقيّ ملعون يلعنه الله ويلعنه اللاعنون وكيف يفرض الله على عباده

طاعة من يحجب عنه ملكوت السماوات والأرض - هل هذا شيء منطقي - وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السماوات والأرض، وإن الكلمة من آل مُحَمَّد تنصرف إلى سبعين وجهاً، وكل ما في الذكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام القديم من آية تذكر فيها العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الولي لأنه جنب الله ووجه الله يعني حق الله وعلم الله وعين الله ويد الله، فهم الجنب العلي والوجه الرضي والمنهل الروي والصراط السوي والوسيلة إلى الله والوصلة إلى عفوه ورضاه - هؤلاء هم آل مُحَمَّد - سرُّ الواحد والأحد فلا يقاس بهم من الخلق أحد فهم خاصة الله وخالصته وسر الديان وكلمته وباب الإيمان وكعبته وحجة الله ومحجته وأعلام الهدى ورايته وفضل الله ورحمته وعين اليقين وحقيقته وصراط الحق وعصمته ومبدأ الوجود وغايته وقدرة الرب ومشيته وأم الكتاب وخاتمته وفصل الخطاب ودلالته وخزنة الوحي وحفظته وآية الذكر وتراجمته ومعدن التنزيل ونهايته فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية - فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية أو قد تكون فهم الكواكب العلوية - فهم الكواكب العلوية والأنوار العلوية المشرقة من شمس العصمة الفاطمية في سماء العظمة المُحَمَّدِيَّة والأغصان النبوية النابتة في دوحة الأحمدية والأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية والذرية الزكية والعتره الهاشمية الهادية المهديَّة أولئك هم خير البرية - مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أعودُ إلى سورة التوحيد التي أنزلت للمتعمقين في آخر الزمان ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذا ككلمة كُن التي هي المرتبة الأولى، الله سبحانه وتعالى لَمَّا تجلَّى في النور الأول، ما هو هذا التجلي؟ هو هذا التجلي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تجلَّى فيه الله سبحانه وتعالى فكان مُحَمَّدٌ كانت الحقيقة المُحَمَّدِيَّة هي المرآة التي تجلت فيها الأسماء الحسنی ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي كن مرآة في وجودك، وهذه المرآة تتجلَّى منها الأسماء الحسنی ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي أيتها الحقيقة المُحَمَّدِيَّة قولي أنطقي، ما هو هذا النطق؟ هذا نطق التجلي وليس نطق الألفاظ، ومن هنا كانت هذه السورة أنزلت للمتعمقين، هذي إشارة من بعيد، وإلا لست أنا من المتعمقين، ولا أدرك دلالات هذه السورة، نعم إذا أردت أن أتحدث عنها لغوياً أو ما قاله المفسرون والفلاسفة والمُتَكَلِّمُونَ فإني قادرٌ على بيان هذه المعاني لكن ليس هؤلاء هم المتعمقين، المتعمقون أناسٌ لهم أوصاف وحالات أخرى تحدثت الروايات والأدعية الشريفة عن أوصافهم، وهذه الأوصاف لا تنطبق عليّ ولا على أمثالي، لكن هناك إشارة واضحة من خلال الروايات ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الكلام هنا عن النور الأول،

والنور الأول حيث تجلّى الله في ذلك النور، والعرش من نوري ونوري أفضل من العرش، لماذا؟ لأن العرش من نوري ونوري من نور الله، الله سبحانه وتعالى تجلّى في الحقيقة الأولى في النورية الأولى، قبل قليل مرت علينا الرواية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ قال: مثل نوره، نوره مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نوره الأول الذي أشرقت منه الأنوار ومنه تحقق الوجود هو نور الحقيقة المُحَمَّدِيَّة اللهُ سبحانه وتعالى تجلّى في هذه الحقيقة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ أي أيتها الحقيقة المُحَمَّدِيَّةُ تجلّي، تجلّي بأي شيء؟

بأسماء الله الحسنى، تجلّي بهذه الصورة، ولذلك في هذا الحديث الذي ورد - إن الله خلق آدم على صورته - والآدم هنا إشارة إلى الآدم الأول، والآدم الأول هو الحقيقة المُحَمَّدِيَّةُ - إن الله خلق آدم على صورته - المراد خلقه على صورته أي أن الله تجلّى فيه، الله سبحانه وتعالى كيف تجلّى فيه؟ تجلّت أنوار أسمائه الحسنى، ومن أنوار أسمائه الحسنى كانت الموجودات، تجلّت أنواره في الحقيقة المُحَمَّدِيَّةُ والحقيقة المُحَمَّدِيَّةُ بمثابة المرآة فهذه المرآة عكست أنوار الأسماء الحسنى فلمّا عكستها كان الوجود وكانت مراتب الوجود، بحسب انتمائها ورجوعها إلى الأسماء الحسنى التي أشرقت من مرآة الحقيقة المُحَمَّدِيَّةُ وهذا هو الوحي في مرتبته العليا، وهذا هو الوحي في درجته الأولى، وما كان من وحي في العالم الأرضي إنما هو مظاهر ومراتب للوحي تتناسب مع هذا العالم، لأجل هداية الناس، فتجلّى بكتابٍ وبأحكامٍ وبآياتٍ وبعلمٍ وبفكرٍ وغير ذلك ما يسمى بالوحي، فذلك هو الوحي في العالم الأرضي، وحتى الوحي في العالم الأرضي في مقامه السري غير هذا الوحي المكتوب، مرت علينا هذه الرواية وأظن أني قرأتها مرتين لأنها تتناسب مع المعاني التي مرت، وتتناسب مع هذا المعنى الذي بين أيدينا الآن، الرواية التي ينقلها شيخنا الطوسي عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه - عن عبد الله بن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بيتُ عليٍّ وفاطمة حجرة رسول الله وسقف بيتهم عرشُ ربِّ العالمين وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي والملائكة - معراج الوحي والملائكة هم هؤلاء مهبط الوحي، السلام عليكم يا مهبط الوحي، هو هذا الوحي الذي تشير إليه هذه الرواية - وفي قعر بيوتهم - بيوت عليٍّ وآل عليٍّ - فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكل ساعة وطرفة عين - طبعاً لكل مقام من المقامات وحيٍّ خاص، الوحي المُحَمَّدِيَّ خاصٌ بِمُحَمَّدٍ ولكن هناك الوحي العلوي الفاطمي ولذلك هؤلاء الذين يستغربون ما جاء مثلاً في بعض الروايات وهذي مرتبة متدنية من مراتب الوحي، أن جبرئيل عليه السلام كان يأتي يؤنس فاطمة بعد شهادة رسول الله ورحيله عن هذا العالم فما كان يأتي به جبرئيل من علم كان يُكتب في كتابٍ سمي بعد ذلك بمصحف فاطمة، هذي مرتبة من مراتب الوحي وليس أعلى مراتب الوحي الفاطمي.

الوحي للنحل والوحي لأم موسى والوحي لمريم بنت عمران والوحي للحواريين هذا مقبول، لكن لَمَّا يكون الوحي لعلِّي، الوحي لعمر يُكلم وليس بنبي هذا مقبول، لكن لَمَّا يكون الوحي لعلِّي وفاطمة ليس مقبولاً، قطعاً هناك وحي خاص بالنبي وهو الوحي النبوي، لكل واحد مرتبة، ما كان خاصاً بالنبي لا يكون لغيره، كما مر في رواية الرمانتين أنه جاءه جبرئيل برمانتين أكل الأولى وقال هذه خاصة لي والثانية شطرها لكنه قال - يا علي إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى - كما مر في نهج البلاغة الشريف قبل قليل - وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً - الوحي ينزل عليهم صباحاً ومساءً وكل ساعة، هؤلاء هم مهبط الوحي هكذا نسلم عليهم:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ الثُّبُورَةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ - هؤلاء قيل لهم مهبط الوحي هكذا لا كما يقولون بعض الشراح بأنهم مهبط الوحي لأن النبي جدهم والوحي يهبط على النبي فقيل لهم يا مهبط الوحي، ما نضع بهذه النصوص الكثيرة من الروايات التي تتحدث عن هذه الدرجات من الوحي النازل إليهم - وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكل ساعة وطرفة عين - الرواية تريد أن تشير بأن الوحي ليس منقطعاً عنهم، أصلاً روحهم هي الوحي، روحهم هي الوحي فيما بينهم وبين الله، حياتهم هي هذه الصلة - إن لنا مع الله حالات لا يسعنا فيها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل - والرواية هنا على سبيل التقريب، هم في كل حالاتهم، ومر علينا إن أمرهم حديثهم لا يحتمله لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون فكيف بحالاتهم هم، هذي الروايات تأتي بلسان الإشارة لا بلسان التفصيل، بلسان الإجمال ولسان الإشارة - تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكل ساعة وطرفة عين والملائكة لا ينقطع فوجهم فوج ينزل وفوج يصعد - الملائكة تنزل إليهم تستفيض منهم - وإن الله تبارك وتعالى كشف لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش وزاد الله في قوة ناظره وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وفاطمة - الإتيان بمثال إبراهيم لتقريب المعنى وإلا الفارق بين منزلة إبراهيم وبين منازلهم لا يُعدُّ ولا يحصى - وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ - الروايات تقول بأن إبراهيم آخر لحظة من لحظات حياته لَمَّا جاء ملك الموت كي يقبض روحه ماذا طلب من ملك الموت؟

أن يمهله كي يسجد سجدة الشكر تشبهاً بشيعة علي، الروايات هكذا تقول عندنا فإبراهيم في آخر لحظة من لحظات حياته، ملك الموت قبضه وهو يتشبه بشيعة علي ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ الروايات تقول: وإن من شيعة علي لإبراهيم، وفي تفسير هذه الآية وردت هذه الرواية التي تقول بأن إبراهيم آخر لحظة من

لحظات حياته سجد متشبهاً بشيعة علي ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ هذي أعلى مرتبة بلغ إليها إبراهيم، ولكن المرتبة التي من حيث هو، هو، من حيث هو أبو التوحيد، لا من حيث نحن الذين ندعي حبهم وندعي متابعتهم هكذا من اللسان فحسب وشيء يمازج القلوب من عاطفة أو حب من دون معرفة أو من دون يقين، وما نملكه إلا هو بحدود المعرفة الأطفالية، حينما أقول المعرفة الأطفالية يقصد منها أن هذا الطفل الذي ترضعه أمه لا يعرف ما معنى الأم ولا يعرف منزلة الأم ولكن شيئاً فشيئاً يتعلم أن لفظة ماما لفظة أم تدل على هذا الكائن الذي يرضعه الحليب، فكلما سمع هذه الكلمة عرف بأن هذا الكائن الذي يطعمه ويحرص عليه ويحنو عليه هو هذا الكائن اسمه أم، نحن هكذا معرفتنا، هذا الحد من معرفتنا، كل هذا الذي أقوله ويقوله غيري إنما هو في درجة المعرفة الأطفالية.

معرفة اليقين ومعرفة الحقائق تلك خاصة بالأنبياء، كما قال صادق العترة: **العبرة للعوام** - ونحن نسبح في بحر العبرة - **والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء** - فأين نحن من الحقائق وأين نحن من اللطائف وأين نحن حتى من الإشارة، نحن نسبح في بحر العبرة ونغطس فيها فتلك هي المعرفة الأطفالية التي أشير إليها، كمعرفة هذا الطفل من خلال هذا اللفظ بهذا الكائن الذي يطعمه ويسقيه - وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش فيوتهم مسقفةً بعرش الرحمن ومعارج الملائكة والروح - الروح الذي هو أعظم من الملائكة - فوجٌ بعد فوج لا انقطاع لهم وما من بيتٍ من بيوت الأئمة منا إلا وفيه معراج الملائكة، لقول الله عز وجل: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ \* سَلَامٌ﴾ قال: قلت من كل أمرٍ، قال: بكل أمر، فقلت: هذا التنزيل، قال: نعم - فالوحي نازلٌ عليهم صباح مساء وفي كل ساعة وفي كل طرفة عين، فروحهم هي الوحي، اتصاهم بالله هو هذا الوحي، وتلكم هي أعلى مراتب الوحي.

إلى هذا كانت الإشارة في دعاء ليلة المبعث ونحن نقرأ: اللهم إني أسألك بالتجلي الأعظم في هذه الليلة من الشهر المُعظم. التجلي الأعظم هو هذا المعنى الذي مرت الإشارة إليه، هذا التجلي الأعظم هو التجلي الأول، لكنه تجلى في ليلة البعثة، تجلى بحسب ما يتناسب مع العالم الأرضي بحدود العالم الأرضي بحدود النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في العالم الأرضي، وإلا التجلي الأعظم هو التجلي الأول، حين تجلى الله سبحانه وتعالى إلى الحقيقة المُحمّدية فسطعت أنواره الحسنى أنوار أسمائه الحسنى في تلكم الحقيقة ومنها انعكست إلى الوجود، فكانت كل الموجودات من أنوار الحقيقة المُحمّدية التي هي مرآة لتلكم الحقيقة، ولكن لهذه الحقيقة هناك تجلي أعظم هذا التجلي الذي يتناسب مع العالم الأرضي في مُحَمَّدٍ

الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى هذا أيضاً الإشارة فيما جاء في الدعاء المروي عن إمامنا الحجة صلوات الله وسلامه عليه:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعٍ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وَلاةَ أَمْرِكَ الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ الْوَاصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ الْمَعْلُونُونَ لِعَظَمَتِكَ أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِمْ مِنْ مَشِيَّتِكَ فَجَعَلْتَهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِكَ وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلُ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مِنْ عَرَفِكَ لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنِهَا إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ. لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنِهَا - إِنْ لَنَا مَعَ اللَّهِ حَالَاتٌ لَا يَسْعُنَا فِيهَا لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ - لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنِهَا إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذه الحقيقة المُحَمَّدِيَّةُ تَجَلَّى فِيهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَكَانَتْ لَا فَرْقَ بَيْنِهَا وَبَيْنَهُ لِأَيِّ شَيْءٍ؟ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَجَلَّى فِيهَا، كَانَتْ هِيَ الْمَرَاةَ، إِنْ اللَّهُ خَلَقَ آدَمَ، خَلَقَ آدَمَ الْأَوَّلَ، الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ الْأُولَى عَلَى صُورَتِهِ، تَجَلَّتِ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَى فِيهَا، إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ هِيَ فِي مَقَامِ الْعِبُودِيَّةِ الْأَسْمَى، وَلَا يُوْجَدُ هُنَاكَ عَبْدٌ حَقِيقِي كَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الْعِبُودِيَّةُ الْعَلِيَا هِيَ فِي الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ، وَالْعِبُودِيَّةُ الَّتِي تَجَلَّتْ فِي الْأَرْضِ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِهَا هِيَ فِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أَيُّهَا الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ أَنْطَقِي كَيْفَ تَنْطَقُ؟

تنطق بالتجلي، لا تنطق باللفظ، لأن الله تجلى فيها، حينما نقول عن الإمام المعصوم بأنه وجه الله، بأنه يد الله، بأنه عين الله، بأنه جنب الله، هذا جانب، جهة من التجلي الذي يتناسب مع العالم الأرضي مع هذا العالم المحدود، أما الحقيقة المُحَمَّدِيَّةُ الَّتِي هِيَ فَوْقَ هَذِهِ الْعَوَالِمِ الْمَحْدُودَةِ فَإِنَّ التَّجْلِيَّ فِيهَا يَكُونُ بِحَسَبِهَا، بِحَسَبِ سَعَتِهَا، وَسَتَاتِنَا بَعْضَ الرِّوَايَاتِ فِي الْعَنَاوِينِ الْأُخْرَى مِنْ عَنَاوِينِ الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ تَتَحَدَّثُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْمَضَامِينِ وَعَنْ غَيْرِ هَذِهِ الْمَضَامِينِ، الْمَطْلَبُ بِحَاجَةٍ إِلَى بَيَانٍ وَتَفْصِيلٍ أَكْثَرَ لَكِنَّ الْوَقْتَ يَجْرِي سَرِيعاً وَقَدْ مَرَّ قِسْطٌ كَبِيرٌ مِنَ الْوَقْتِ، يَعْنِي تَجَاوَزْتَ الْوَقْتَ الْمَعْهُودَ لِلْبَرْنَامِجِ وَبَقِيَتْ هُنَاكَ بَقِيَّةُ الْحَقِيقَةِ هُنَاكَ رَوَايَاتٌ أُخْرَى آيَاتٌ أُخْرَى أَيْضاً وَهَذِهِ السُّورَةُ سُورَةُ التَّوْحِيدِ تَحْتَاجُ إِلَى وَقْفَةٍ طَوِيلَةٍ بِحَسَبِ مَا نَعْرِفُ لَا بِحَسَبِ حَقِيقَتِهَا الَّتِي أُنزِلَتْ لِلْمُتَعَمِّقِينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

الخلاصة التي نصل إليها: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ - أَنَّهُمْ مَهْبِطُ الْوَحْيِ لَكِنَّ لَا بِهَذِهِ الْمَعَانِي السَّادِجَةِ الَّتِي تُحَدَّدُ فِيهَا مَرَاتِبُ النَّبُوَّةِ وَتُحَدَّدُ فِيهَا مَرَاتِبُ الْإِمَامَةِ وَتُحَدَّدُ فِيهَا مَقَامَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، مَقَامَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَقَامَاتٌ لَا حُدُودَ لَهَا وَمَقَامَاتُ النَّبُوَّةِ مَقَامَاتٌ لَا حُدُودَ لَهَا أَيْضاً، وَلرَبَّمَا رَوَايَةُ الرَّمَانَتَيْنِ هِيَ أَفْضَلُ إِشَارَةٍ رَمْزِيَّةٍ رَمَانَةِ النَّبُوَّةِ خَاصَّةً بِمُحَمَّدٍ وَرَمَانَةِ الْعِلْمِ فَهَمَّ شُرَكَاءُ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي رَمَانَةِ الْعِلْمِ، وَفِي

الحقيقة المُحَمَّدِيَّة كان النور الأول من هو؟ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ امْتَزَجَ بِالرُّوحِ وَمِنْ هُنَاكَ اشْتَقَّتْ  
الأنوار الأخرى من نوره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، له السابقة، له الأولوية، له الكمال، له التمام وهم يتفرعون  
عنه، فهم أهل بيت النبوة، وهم موضع الرسالة، وهم مختلف الملائكة، وهم مهبط الوحي - يا عَلِيُّ إِنَّكَ  
تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى - وَأَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ كَافِيَةٌ لِبَيَانِ الْمَقْصُودِ، وَهَذِهِ تَصَدَّقُ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ  
مَرَاتِبِ الْوُجُودِ، فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْوُجُودِ فِي الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ وَفِي الْأَفْقِ الْأَعْلَى أَيْضاً، وَمَرَّتْ عَلَيْنَا  
الرَّوَايَاتُ إِنَّ عَلِيّاً كَانَ فِي الْأَفْقِ الْأَعْلَى، وَلَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ عَلِيّاً فِي الْأَفْقِ الْأَعْلَى مَرَّتَ عَلَيْنَا الرَّوَايَاتُ، فَعَلِيٌّ  
يَسْمَعُ حَيْثُ يَسْمَعُ مُحَمَّدٌ وَيَرَى حَيْثُ يَرَى مُحَمَّدٌ وَهَذَا لِكُلِّهِمْ مِنْ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ إِلَى إِمَامِ زَمَانِنَا صَلَوَاتُ  
اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَالْحُجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ يَرَى مَا يَرَى مُحَمَّدٌ وَيَسْمَعُ مَا يَسْمَعُ مُحَمَّدٌ وَيَشْمُ مَا يَشْمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَكَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ مَهْبَطَ الْوَحْيِ كَانُوا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أَيْضاً وَكَانَ إِمَامُ زَمَانِنَا مَهْبَطَ الْوَحْيِ  
وَلَا زَالَ إِمَامُ زَمَانِنَا مَهْبَطَ الْوَحْيِ، إِمَامُ زَمَانِنَا هُوَ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ كَذَلِكَ مَهْبَطُ الْوَحْيِ صَلَوَاتُ اللَّهِ  
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ مَا لِمُحَمَّدٍ لِمُحَمَّدٍ وَمَا لِعَلِيِّ لِعَلِيٍّ، لِأَبَدٍ حِينَ نَتَنَاوَلُ الْمَطَالِبَ الْمَعْرِفِيَّةَ الْعَمِيقَةَ أَنْ نَلْتَزِمَ  
بِقَاعِدَةٍ نُورِيَّةٍ مَهْمَةٌ جَدًّا وَقَاعِدَةٌ ذَهَبِيَّةٌ مَا تَسْمَى بِقَاعِدَةِ حِفْظِ الْمَقَامَاتِ وَبِقَاعِدَةِ تَعَدُّدِ الْحَيْثِيَّاتِ، لَمَّا  
نَتَحَدَّثُ فَإِنَّا نَتَحَدَّثُ فِي كُلِّ جِهَةٍ عَنْ حَيْثِيَّةٍ مَعِينَةٍ مَعَ حِفْظِ الْمَقَامَاتِ، لِكُلِّ مَقَامٍ خُصُوصِيَّاتِهِ وَشُؤُونَاتِهِ،  
وَإِلَّا إِذَا لَمْ نَرَاعِ تَعَدُّدَ الْحَيْثِيَّاتِ وَحِفْظَ الْمَقَامَاتِ فَإِنَّا سَنَقْعُ فِي خَلْطٍ وَخَبْطٍ وَسَيَكُونُ الْكَلَامُ حَيْثُئِذٍ كَلَامٌ  
أَهْوَجُ لَا مَعْنَى لَهُ، حَيْثُئِذٍ سَتَتَكَسَّرُ الْحُدُودُ وَتَتَقَطَّعُ الْأَوْصَالُ، لَكِنَّا دَائِمًا سَنَبْقَى نَتَحَدَّثُ فِي ضَمَنِ إِطَارَيْنِ  
فِي إِطَارِ التَّوْحِيدِ وَالْوَلَايَةِ، حَدِيثِنَا فِي هَذَيْنِ الْإِطَارَيْنِ: التَّوْحِيدِ إِطَارِ وَالْوَلَايَةِ إِطَارِ، وَمَا كَانَ لِلتَّوْحِيدِ فَهُوَ  
لِلتَّوْحِيدِ وَمَا كَانَ لِلْوَلَايَةِ فَهُوَ لِلْوَلَايَةِ، وَمَا تَحَدَّثْنَا عَنْ قَوْلِ الدَّعَاءِ: لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا. فَهَذَا مِنْ حَيْثِيَّةٍ  
وَمَعَ حِفْظِ الْمَقَامَاتِ كَمَا قَالَ الدَّعَاءُ: إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ.

فَهُنَاكَ تَعَدُّدُ الْحَيْثِيَّاتِ، الْجِهَةُ الَّتِي يُنْظَرُ إِلَيْهَا وَيُنْظَرُ مِنْ خِلَالِهَا إِلَى الْمَفْهُومِ وَإِلَى الْمَعْنَى، وَهُنَاكَ كَذَلِكَ حِفْظُ  
الْمَقَامَاتِ فَلِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مَقَامُهَا، كَمَا يَقَالُ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، أَلَيْسَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَامٌ الْفَرْحُ لَهُ مَقَالٌ  
وَمَقَامُ الْحَزْنِ لَهُ مَقَالٌ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، فِي عَالَمِ الْحَقَائِقِ لِكُلِّ مَقَامٍ شُؤُونَاتُهُ وَخُصَائِصُهُ، لِكُلِّ مَقَامٍ وَصْفٌ  
يَتَعَلَّقُ بِهِ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَى الْمَقَامِ الْآخَرَ إِذَا تَسَرَّبَ إِلَى الْمَقَامِ الْآخَرَ أَخْتَلَطَتِ الْمَقَامَاتُ فَصَارَ الْخَبْطُ  
وَالْخَلْطُ، وَهَذَا مَا يَوْقَعُنَا فِي الضَّلَالَةِ وَيَوْقَعُنَا فِي الْحِمَاقَةِ وَيَوْقَعُنَا فِي كُلِّ الشُّرُورِ، دَائِمًا نَبْقَى نَلْتَزِمُ بِهَاتَيْنِ  
الْقَاعِدَتَيْنِ: تَعَدُّدَ الْحَيْثِيَّاتِ وَحِفْظَ الْمَقَامَاتِ، فَلِكُلِّ مَقَامٍ شَأْنُهُ الْخَاصُّ بِهِ، التَّوْحِيدِ مَقَامٌ، وَالْوَلَايَةِ مَقَامٌ،  
وَالْوَلَايَةِ عَلَى مَقَامِينَ النُّبُوَّةِ مَقَامٌ وَالْإِمَامَةِ مَقَامٌ.

نحن عندنا مقامان رئيسان: التوحيد الولاية، الولاية.

تتفرغ إلى مقامين: النبوة والإمامة.

كل مقام من هذه المقامات له خصوصياته، وحينما نتحدث عن تلاقٍ بين هذه المقامات فهو من حيثية ما مع حفظ كل خصوصيات مقام لعينه ولذاته من دون أن تتسرب مواصفات المقام الأول إلى المقام الثاني، فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين نخاطبهم:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ.

والسلام عليكم أنتم يا شيعتهم ويا أحبابهم ويا زوارهم ورحمة الله وبركاته

أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرايون.

مع التحيات

المُتَابَعَة

زهرايون

1433 هـ